

ترجمات | Translations

# فلسفة الدين<sup>(١)</sup>

## Philosophy of Religion

أنطوان فيرغوت<sup>(٢)</sup> | Antoine Vergote  
ترجمة:

بوزيدي نعيم<sup>(٣)</sup> | Bouzidi Naim

بوجاوي ناصر الدين<sup>(٤)</sup> | Boudjaoui Nacer-Eddine

(1) Vergote Antoine. La philosophie de la religion. In: Revue Philosophique de Louvain. Troisième série, tome 68, n°99, 1970. pp. 385-393.

DOI : <https://doi.org/10.3406/phlou.1970.5563>

[www.persee.fr/doc/phlou\\_0035-3841\\_1970\\_num\\_68\\_99\\_5563](http://www.persee.fr/doc/phlou_0035-3841_1970_num_68_99_5563)

(٢) أنطوان فيرغوت (1921-2013) هو لاهوتيّ وعالمٌ نفسي وفيلسوفٌ بلجيكي، وقسيس في الكنيسة الكاثوليكية الرومانية Église catholique romaine. شغل أيضًا منصب أستاذ في الجامعة الكاثوليكية لوفين Katholieke Universiteit Leuven. واشتهر بإسهاماته في «Colloques Castelli» التي نشر فيها بعد في دار النشر Aubier. كما عُرف بعدة كتب تعالج العلاقات بين الإيمان المسيحي والتحليل النفسي. فقد كان أنطوان فيرغوت تلميذًا لجاك لاكان، وكان لفيرغوت الفضل في إدخال التحليل النفسي إلى جامعة لوفين الكاثوليكية de Louvain université catholique. وبالإشتراك مع كل من Alphonse de Waelhens Jacques Schotte أسّس المدرسة البلجيكية للتحليل النفسي. نذكر من مؤلفاته:

- علم النفس الديني (Charles Dessart, 1971) Psychologie religieuse
- تأويل اللغة الدينية (éd. du Seuil, 1974) Interprétation du langage religieux
- الحداثة والمسيحية (éd. du Cerf 1999) Modernité et christianisme
- إنسانية الإنسان وإلهية الله (2007) Humanité de l'homme, divinité de Dieu.

(٣) باحث جامعيّ متخصص في المنطق وفلسفة العلوم- جامعة الجزائر، البريد الإلكتروني: naim.bouzidi@univ-alger.dz

(٤) باحث جامعيّ متخصص في الفلسفة الغربية في المدرسة العليا- الجزائر، البريد الإلكتروني: boudjaouinacereddinephilou@gmail.com

لقد اخترنا أن نجمع العناصر التي أحدثت تحولاً في الفكر الفلسفي المتعلق بموضوع الله والدين، عوضاً أن نعرض بطريقة مختصرة جدولاً لأطاريح عدة مفكرين. ونقترب تقسيم مجال فلسفة الدين إلى حيزين للتفكير يحدان قسمي هذا البحث. الأول يُصنّف ضمن التراث الديني والأنطولوجي. إذ تعتبر فكرة الله أو المطلق إرث ثقافي للإنسانية بالنسبة للحضور الأصلي للديانات وكذلك بالنسبة لتاريخ الفلسفة الغربية. فقد قبلت هذه الفكرة في مسعاها لأن تؤلف خطابها العقلاني أولاً بلوغوس الواحد<sup>(٥)</sup>، الأبدي، وبالميتا-فيزيقا التي اقترحتها الخطاب الديني عليها.

ما يهمنا هنا هو أن نرى كيف أن فكرة المطلق قد أثرت فيها كل من التطور الداخلي للبحث الأنطولوجي وكذا التحري العلمي للأديان. أما الحيز الثاني الذي يضم مجموع علوم الإنسان فقد أثرت [علومه هاته] بعمق، بفضل ازدهارها في الأزمنة الحديثة. على الفكر الديني، سواء بمراحلها النقدية

(٥) الواحد المقصود به هنا فكرة أفلوطينية (نسبة إلى أفلوطين Plotin باليونانية Πλωτῖνος)؛ إذ يتبنى أفلوطين التقسيم الأفلاطوني (نسبة إلى أفلاطون Platon باليونانية Πλάτων الذي ينطق بـPlátōn /plá.tɔ:n/) للعالم إلى عالم حسيّ وعالم عقليّ (أو غير مادي)، ويقتسم أفلوطين هذا الأخير إلى ثلاثة أقانيم Hypostases:

- الواحد أو الخير (en grec ancien: εἷς/en) وهذا هو "الدوناميس" أو إمكانية الوجود. ومنه طافت أو انبعثت [فاضت] المستويات الأخرى.
- النوس (l'Intellect, νοῦς, le Nous). والذي يترجم في بعض الكتابات بالعقل وقد يماثل الله. هو أقنوم يفكر بنفسه بنفسه. وعملية تفكير النوس هي أسس نشاطات الحياة؛ وإدراك هذا التفكير يُولد الأشكال. وهذا العقل سبب الوجود. وقد سبقه "الواحد"، ليس بمعنى أن الواحد خلقه، بل إن النوس فاض عنه؛ فالواحد علة النوس.
- النفس (ψυχή /Psuchè) وهي مسؤولة عن إدراك أفكارها بذاتها كما تقوم بخلق كون مادي هو صورة حية للكون الروحاني والعقلي باعتباره فكرة موحدة ضمن العقل. بالتالي، النفس هي من يدرك الأمور المادية ويحولها إلى الأفكار التي تعتبرها حقيقية. أسفل هذا جميعه المادة. كل هذا التفسير كان تعليلاً للأعمال أفلاطون بخاصة أن المعرفة الإنسانية تأتي من حياة سابقة مع وجود تأثر بأفكار أرسطو وبخاصة مفهوم "المحرك اللامتحرك"، وحدد أتباع معتقد أفلاطون اللاحقين ثلاث تجليات للنوس. ومن أهم من تناول الموضوع كان فرفوريوس السوري Porphyre de Tyr وبرقلس Proclus de Lycie.

من البديهي أنّ التقسيم الذي ارتأيناه لا يفترضُ مُسبّقًا التأثيرات المتبادلة التي حصلت في هذا المجال المعقّد الذي يسعّ الإنسان فيه أن يفكّر المبدأ والمعنى الأقصى لوجوده. [كما أنه] ليس في مُكنة أيّ مفكر مُعاصر أن يغضّ الطرف عن التجديدات العميقة للأنطولوجيا، عن التأملات حول تاريخ الفلسفة أو تطورات الهرمينوطيقا<sup>(٧)</sup> والعلوم الإنسانية، ولا حتى عن تأثير النزعة الإنسانية الملحدة.

(٧) الهرمينوطيقا فن يختص بالتأويل في مجالات مختلفة، وهي فن يرمي إلى أن نفهم، وأن نجعل أنفسنا مفهوميين، ناهيك أنها تذهب أبعد من مجرّد التحليل المنطقي والقوانين التأويلية العامة. استعمل المصطلح كثيرًا ومن أبرز الاستعمالات نجدها في أحد أعمال يوهان كونراد دانهاور (١٦٦٦-١٦٨٣) Johan. Conrado Dannhawero الذي صدر باللغة اللاتينية تحت عنوان (الهرمينوطيقا المقدسة أو منهج شرح النصوص المقدسة) Hermenevtica Sacra sive Methodus exponendarum S. Literarum. يحيلنا دانهاور في أول صفحة من كتابه إلى مؤلف آخر هو بارباروس موسكوفيتس Barbaros Moscovitas وكتابه عن الهرمينوطيقا. (I.Dannhawero.MDCLIV,P). شكل عمل دانهاور نقطة تحول في الفهم اللاهوتي بين مفسّري النصوص المقدسة؛ ذلك أنّ عمله يتضمّن بصورة أولية عنصر التمييز بين منهجي الهرمينوطيقا التحليلية والمنطق التحليلي. يطبق هذ التمييز في الهرمينوطيقا المقدسة Hermenevtica Sacra للكتاب المقدس بوصفها نموذجًا لكل النصوص الأخرى. تميّز الهرمينوطيقا المقدسة بين السؤال المتعلق بالمقصود من معنى النصوص المقدسة والسؤال عن وجوده الحقيقي أو الزائف. إنّ قارئ الكتاب المقدس يجب أن يقرر عبر التفسيرات ماذا كان قصد المؤلف؟ وعبر البحث المنطقي والتحليل أو عبر الثقة في الروح المقدس باعتباره مؤلف الكتاب المقدس. إنّ المشكلة الهرمينوطيقية الأولى تكمن في الظروف التي تحيط بالقارئ والمستمع وفي الوضع الذي يسمح بفهم المقصد التاريخي الموحى به في الكتاب المقدس. تخدم الدراسات الفيلولوجية والتاريخية للكتاب المقدس بدقة الفهم التاريخي لموقف الكاتب. يشمل هذا تحديد عواطف المؤلف ووقت الكتابة. إنّ الهدف النهائي هو تيسير فهم الذات وليس فقط النص، لكنها تتيج أيضًا فهمًا للموقف التاريخي للمؤلف الإنساني (Shantz,Douglas H.,2015,P.24-25).

[الملحة] أو بالإمكانيات الجديدة التي اقترحتها عليه. وفي الأخير سنأتي، على سبيل الختام، إلى التفكير في أساس النزعة الإنسانية<sup>(٨)</sup>، فيه تتجلى بوضوح أكثر الخلافات بين مختلف أصناف الفلسفات.

(٨) النزعة الإنسانية أو الإنسانية Humanisme هي مجموعة من وجهات النظر الفلسفية والأخلاقية التي تركز على قيمة وكفاءة الإنسان، سواء كان فردًا أو جماعة، وتتميّز هذه النزعة عمومًا بالتفكير والاستدلال (العقلانية، التجريبية) أثناء بناءها المذاهب أو العقائد الثابتة أو المنزلة (الإيمانية). من الجدير بالملاحظة أنّ تنوع معاني هذا المصطلح جعله غامضًا، فقد كان هناك التباس مستمر باستخدام هذا المصطلح؛ لأنّ حركات فكرية مختلفة كانت قد عرّفت نفسها باستخدامه عبر الزمن. وتشير الإنسانية في الفلسفة والعلوم الاجتماعية إلى اتجاه يؤكّد بشكل خاص على فكرة "الطبيعة البشرية". وتؤمن النزعة الإنسانية بقدرة الإنسان على تدبير نفسه ومجمّعه انطلاقًا من ملكاته النظرية والعملية وهذا يرفع الإنسان إلى مصدر للتشريع الذاتي في مختلف أصعدة الحياة ما يجعل النزعة الإنسانية نظرةً تقدمية تفاؤلية للإنسان. وقد أصبح العديد من الحركات الإنسانية في العصر الحديث منجزة بقوة إلى العلمانية، وأصبح مصطلح الإنسانية يستعمل عادةً مرادفًا للاعتقادات غير التوحيدية فيما يتعلق بأفكار مثل المعنى والهدف، ومع ذلك فقد كان الإنسانيون الأوائل متدينين، مثل أولريش فون هوتن الذي كان مؤيدًا قويًا لمارتن لوثر والإصلاح البروتستانتي. وقبل أن يرتبط المصطلح بالعلمانية، استخدمه المؤرخ الألماني والعالم اللغوي جورج فويت عام ١٨٥٦ لوصف الحركة التي ازدهرت لإحياء التعلم الكلاسيكي خلال النهضة الإيطالية، وقد لاقى هذا التعريف قبولًا واسعًا. حاولت الحركات الإنسانية أثناء فترة عصر النهضة في أوروبا الغربية إظهار فائدة اكتساب التعلم من مصادر كلاسيكية تعود لما قبل المسيحية لغايات العلمانية مثل العلوم السياسية والخطابة. كلمة "إنساني Humanist" مشتقة من المصطلح الإيطالي umanista العائد للقرن ١٥ ويعني المعلم أو الباحث العلمي في الأدب اليوناني واللاتيني الكلاسيكي والفلسفة الأخلاقية وراعهما. بما في ذلك النهج إلى العلوم الإنسانية. خلال الثورة الفرنسية، وبعدها بقليل في ألمانيا (بفضل الهيجليين اليساريين)، بدأ مصطلح الإنسانية يشير إلى الفلسفات والأخلاق التي ترتبط بالإنسان، دون الاهتمام بأية مفاهيم إلهية، وقد تطورت الإنسانية الدينية بوصفها منظمات دينية أكثر ليبرالية تهتم بشكل أكبر بالاتجاهات الإنسانية. تدمج الإنسانية الدينية الفلسفة الأخلاقية مع طقوس ومعتقدات بعض الديانات، رغم أنها تبقى متمركزة حول الاحتياجات والاهتمامات والقدرات الإنسانية.

تمثلُ النزعة التي دشنها توما الإكويني<sup>(٨)</sup> بطريقة علمية رابطة بين إله الدين التوحيديّ الكتابي والفكر الميتافيزيقيّ المُستلهم من الإغريق مع تمييز كلٍ منهما وفق منطقهِ الخاص. هذه النزعة تَحَصُّن العلاقات البنيوية بين الموجودات العرضية (التي لذلك لا تعرف كيف تعي وجودها بنفيسها) والوجود الذي يُكوّنها كليةً. تتعرّف هاتيه التياراُ الأساسيّة في الوجود المكوّن والمبدأ الأخير للموجودات على أصليّ وعلية قُصويين، علّمها التقليدُ الكتابيُّ أن تطلقَ عليهما اسمَ الله. وتجدرُ الإشارةُ أن هذه الفلسفة على كونها تدخلُ ضمنَ تقليدٍ قديمٍ غير أنّها تتجدّد وتتنوّع. من جهة، بفضل الدراسات التاريخية المعقّدة لأصولها، ومن جهة أخرى بالواجهة المذهبية للفلسفات الجديدة (المثالية

(٨) القديسُ توما الأكوينيّ (Thomas d'Aquin) Tommaso (بالإيطالية)، (١٢٢٥-١٢٧٤) قسيس وقديس كاثوليكي إيطاليّ من الرهبانية الدومنيكانية، وفيلسوف ولاهوتي مؤثر ضمنَ تقليد الفلسفة المدرسية. أخذ معلّم الكنيسة الثلاثة والثلاثين، ويعرف بالعالم الملائكيّ (Doctor Angelicus) والعالم المحيط (Doctor Universalis). عادة ما يُشار إليه باسم توما، والأكويني نسبةً إلى محل إقامته في أكوين، كان أحد الشخصيات المؤثرة في مذهب اللاهوت الطبيعي، وهو أبو المدرسة التوماوية في الفلسفة واللاهوت؛ تأثيره واسعٌ على الفلسفة الغربية، وكثيرٌ من أفكار الفلسفة الغربية الحديثة إما ثورة ضد أفكاره أو اتفاق معها، خصوصًا في مسائل الأخلاق والقانون الطبيعي ونظرية السياسة، وعلى نحو الإجمال، فالقديس توما الأكويني أولٌ من ميّز بين اللاهوت الطبيعيّ (theologia naturalis) بين اللاهوتي المنزل أو لاهوت الوحي (sacra doctrina)، وهو يتقصى عقلانية الإيمان عن طريق العقل الطبيعي وهذا باستناده على فلسفة أرسطو، وهناك بعض الدراسات المعاصرة التي ترى أن توما الأكويني هو لاهوتي بالدرجة الأولى.

انظر: Étienne Gilson, Le thomisme, Vrin, p. 414-419, sur tout la note 26 de la page 419

## الميتافيزيقا، الأنطولوجيا، التقاليدُ الدينيةُ

### الأنطولوجيا: الاستمرار، التحول، الاعتراضُ

ما برحت الدوائر الفلسفية العديدة عن تقصي مسألة الوجود (الأنطولوجي) بوصفها المسألة الأكثرُ أساسيةً وكونها [أيضًا] في مُستوى الفكر البشريّ. فهي تقضي أنه من طبيعة الإنسان التساؤل عن وجوده، وأنّ هذا التساؤلُ يفتحُ على سؤال علاقة الوجود بالموجودات العرضية والمتعددة. حاولت [هاته الدوائر] بطرق شتى أن تُبرز قدرة الفكر على معالجة هذه المسألة بطريقة ملائمة، ونظرياتها في المعرفة تُعدُّ ضامنًا لتطابق الفكر وحقيقة الوجود، لكون حضور مفهوم الوجود عينه يحثُ على التفكير، والسؤال الذي فتحه هذا المفهوم يحدّد للروح مجالًا لمعرفة أساسية وشاملة، وهذا المجالُ له منطقٌ فريدٌ حيثما القوانينُ الصورية لمنطقٍ خاص لا يمكنُها أن تعترض عليه.

في حيّز الفكر الأنطولوجي نلاحظُ أربعة تيارات رئيسية، والتي سنرتبها وفق التسلسل الزمنيّ للتقاليد الفلسفية التي تبنتها. تنبُع التياراُ المنحدرة من التركيبة الأرسطو-توماوية من الأوساط المسيحية وبالخصوص الوسط الكاثوليكيّ، فهي

الثلاثة] تتسم بمواجهة الفلسفة الوجودية العائدة الى كيركغارد Søren Kierkegaard والذي يُقابل المعرفة المطلقة بفردانية جذرية لمسؤولية وعرضية الإنسان، ذلك الموجود التاريخي بصفة أساسية.

إنَّ فينومينولوجية هوسرل، رُغم اعترافها أنَّ مطلب الفلسفة يفتّادها إلى "غائية ولاهوت فلسفي بوصفه نهجاً غير ديني نحو الله"، فهي مع ذلك تضعُ فرقاً بين الله والمطلق استناداً إلى منْهَج الرد الذي يضعُ في البداية بين قوسين الطبعانية ومعها كل تصور عن العالم *Weltanschauung*، من أجل إعادة توجيه العقل عبر قابليته للإيضاح الذاتي نحو مثالية اللوغوس الأصلي المطلقة. يجدد هوسرل، بهذا الصنيع، المثالية الترنسندنتالية ويحفظ لأفق الفكر الفلسفي مسألة الارتباط بين تأمل الحقيقة المطلقة وفكر أنطولوجي يُفضي إلى إقرار إثبات الله.

لقد فتحت فينومينولوجيا هوسرل فضاءً للتساؤل حاول فيه عدة فلاسفة أن يربطوا بين التأمل الترنسندنتالي وميتافيزيقا الوجود أو الواحد، بفضل استئناف الأفلوطينية أو الأنطولوجيا الأرسطو-توماوية أو من خلال تأمل الفعل، أي [استئناف] الديناميكية الداخلية التي تقوم على السواء على التأمل والإرادة النهائية. أحياناً يضعُ هؤلاء الفلاسفة

الميتافيزيقية، فلسفة الفعل لبلونديل<sup>(٩)</sup>، الفينومينولوجيا، هايدغر).

أما مفكرو المطلق الآخرون فيعودون إلى هيجل، الذي وفقه العقل والدين يتصلان في الفلسفة بوصفها علماً. من غير ما مَحاكَة يكمن أحد الأحداث البارزة والمؤثرة الخاصة باستمرار وتجديد الميتافيزيقا الراهنة في البحوث العديدة في الفلسفة الهيجلية، وبالخصوص في إعادة رد الاعتبار لـ"فينومينولوجيا الروح". وفي هذه البحوث تتلاقى ثلاث نزعات. أولاً تتعلّق هذه النزعات بتصور هيجل لله، للروح المطلق، وعليه بتلك العلاقة بين الأديان وبالخصوص [علاقة] المسيحية بالفلسفة بوصفها نسقاً للمعرفة. وثانياً [في هذه النزعات الثلاثة] يأخذ العديد من المفكرين على عاتقهم توضيح العلاقة بين هيجل وفلسفة كانط التي يرى تجاوزها، وبين فلسفة هايدغر التي تجدد التمييز بين الوجود والموجودات ويقصدُ منه "تقويض" الميتافيزيقا بوصفها فكراً للذاتية المطلقة. والمجال الثالث للبحوث [بين هاتين النزعات

(٩) موريس بلونديل Maurice Blondel (١٨٦١-١٩٤٩) هو فيلسوف فرنسي، طور فلسفة للفعل عن طريق إدماجه لعناصر برغماتية في سياق الفلسفة المسيحية. ولقد تميزت نظريته الدينية بمحاولة التوفيق بين الطابع المتعالي le caractère transcendant للمسيحية وحرية الإنسان واستقلاليتها الشرعية légitime autonomie de l'homme، ينظر في هذا:

Claude Troisfontaines dans Maurice Blondel Œuvres complètes, Tome II, 1883-1913 La Philosophie de l'action et la crise moderniste, Texte établi et présenté par Claude Troisfontaines, PUF, Paris, 1997, [Modèle.P.XXXIII](#).



## تأثير العلوم الدينية على الفلسفة

توضيحٌ للوجود والعالم هي الفلسفة دائماً. وهي، من تلقاء ذاتها، لا تُثري مجال الوقائع التي تُفكرها، بل تدخل ضمن إطار التجارب الطبيعية والثقافية التي تُولف حقيقة الوجود والعالم. ساهمت، في الميدان الذي نحن بصدد تأملهِ، عدّة دراساتٍ غير فلسفية للأديان كثيراً في إثراء مدى وتنوّع التجارب التي على عاتق الفلسفة توضيحها وربطها وفق البنيّات الجوهرية ونقّذها طبقاً لمتطلبات الحقيقة الكلية. كما تضطلع عدّة مؤلفاتٍ فلسفية بتحليل وتنسيق وحتى تبرير التجربة والفعل الدينيّ، بيّان أنّ في الإنسان قبلًا دينيًا *un a priori religieux*، بتوسلي الوصف المنهجيّ للمعنى الدينيّ عوض المسائلة الأنطولوجية. يستند بوضوح هؤلاء المفكرون على الشهادات والرموز التاريخية للأديان، وتارة لا يقومون إلا بالاستلهام منها ليفهموا الدينيّ في الإنسان *le religieux en l'homme* وذلك بتوظيفهم للمنهج التأملّي أو الفينومينولوجيّ.

تجدُر الإشارة بادئ الأمر إلى تأثير الدراسات التاريخية على الأديان، على طقوبها ورموزها وأساطيرها. فقد وضحت هذه الدراسات التنوع الهائل للأديان. فقد حاول بعضُ الفلاسفة،

المطلق أو الواحد ما وراء التعارض بين الألوهية ونفيّ الألوهية، وبذلك فهم يظهرون عُسرًا في الجمع بين الإثبات الدينيّ لله والفلسفة الترنسندنطالية.

قلّة هم الفلاسفة الذين تركوا أثراً حاسماً في فلسفة الله مثل هيدغر، وهذا راجعٌ إلى أربعة أسباب. فقد جدد تحليله للوجود (الأنثروبولوجيا الخاصة به)، في المستوى الأكثر سطحية، نقطة الانطلاق للأنطولوجيا بإحلاله محلّ الفكر النظريّ للعالم فيومينولوجيا للوجود، أي للوجود -في- العالم؛ لهذا السبب، أدخل هيدغر شرطاً نقدياً على المقولات التي دأبنا أحياناً أن نفكر بها وجود الله (العلة، الذات). لقد أعاد هيدغر للفلسفة، بقلبه للقيليّ الخاص بالمركزية الأنثروبولوجية الحديثة، البُعد المتعلق بفكر الوجود، وقام، بفضل فكرته عن الاختلاف بين الوجود والموجودات، يفضّل مسألة الله عن الأنطولوجيا مع إتاحتِهِ لبعض الفلاسفة إمكانيةً إحلالِ الله ضمن الاختلاف المفتوح، ولكن تمّ هذا من خلال استدعاء حُججٍ أخرى غير الحجج التي تنتهي إلى الفكر الأنطولوجيّ (مثل تحليل المقدّيس). في الأخير، استطاع هيدغر أن يُعطي للوجود بُعد الكلمة الذي أثار غاية التأثير على التصورات الدينية والفلسفية عن الكائن الإلهيّ والرابطة الدينية وهذا باستناده على الفكر الهيرمينوطيقيّ.

تفسيرية للقرن التاسع عشر، والتي كانت تعرضُ تصورًا تطوريًا للتطور الدينيّ يميلُ أكثر إلى أن يكونَ خطيًّا. تتمركزُ هذه التأملاتُ الفلسفية حول بعضِ المحاور الأساسية: [أولًا تتمحورُ حول] الخطاب الدينيّ (الأسطورة: بجوانبها المختلفة: اللغة الأصلية والموحى بها؛ وقصصها الخيالية المتصلة مع تعييناتها السببية في موضع التقاطع القائم بينَ الفكر قبل-الفلسفي وما قبل-العلمي): [كما أنها تتمحورُ ثانيا حول] الرمز الديني بوصفه صياغةً للوجود والجسد والعالم في علاقته بالمتعالى: [وتتمحورُ ثالثًا حول] المقدس باعتباره عنصرًا ثقافيًا أصليًا في الإنسانية، وفي نظر البعض يعتبرُ عنصرًا أصليًا في كل إنسان. يبدو أن هذه البحوث قدمت لبعض الفلاسفة المجالَ الشعريّ الجليل، وهو المجال الوحيد الذي يتيحُ طرحَ الأسئلة الأولى والقصوى للوجود، بمعزلٍ عن الفكر الميتافيزيقيّ الذي يعتبرونه مقطوع الصلة عن تربته المغذية.

بواسطة تنسيقٍ مورفولوجيٍّ (ميرسيا إيلاد<sup>(١)</sup>)، أو بتوسلي تحليلٍ مقولاتيٍّ مستلهمٍ من كانط (رأوتو<sup>(٢)</sup>)، أو من طريق ردِّ فينومينولوجيٍّ (م. شيلر<sup>(٣)</sup>) استأنفَ الردَّ الماهويّ الهوسرليّ، أن يفهموا البنيات الكلية والمعنى الثبوتيّ للمقدّيس أو للإلهي. كما حاولوا أيضًا فهمَ العلاقات بين المنطوقات (الأساطير) والسلوكيات الرمزية (الطقوس).

وما حفّزهم على السير في هذا الاتجاه، هو التقويضُ الذي أحدثته الأبحاثُ التاريخية الجديدة، بما هي مخططاتُ

(١) ميرسيا إيلاد (بالرومانية: Mircea Eliade) (٩ مارس ١٩٠٧ - ٢٢ أبريل ١٩٨٦) مؤرخ أديان وكاتب قصص خيالية وفيلسوف وأستاذ بارز في جامعة شيكاغو؛ كان مفسرًا رائدًا للتجارب الدينية؛ إذ أنشأ نماذج في الدراسات الدينية استمرت إلى يومنا هذا. تذهبُ نظريته إلى أن الظهورات الكشفية المقدسة تشكلُ أساسَ الدين، وأن التجربة الإنسانية للواقع تنقسمُ إلى مكان وزمان مقدسين ومدنسين. من أهم إسهاماته في الدراسات الدينية نظريته حول «العود الأبدي»، التي تنص على أن الأساطير والطقوس لا تحيي ذكرى الظهورات الكشفية المقدسة فحسب، بل وتشارك فيها فعليًا، على الأقل من وجهة نظر المتدينين؛ ويعد ميرسيا إيلاد أحد المؤسسين للتاريخ الحديث للأديان، ولقد صاغ رؤية مقارنة للأديان.

(٢) رودولف أوتو Rudolf Otto (1869-1937) لاهوتيّ، وفيلسوف، ومقارن أديان ألماني لوثري. يعتبر أحد أكثر علماء الدين تأثيرًا في أوائل القرن العشرين؛ اشتهر بنشره مفهوم القدسيّ numineux.

(٣) ماكس شيلر Max Scheler (1874-1928) فيلسوف وعالم اجتماع ألماني، يعد مع نيكولا هارتمان Nicolai Hartmann من رواد الفينومينولوجيا في زمانه، ولقد قرّن فينومينولوجيته بصيغة صوفية. مشروع شيلر الأساسي هو تأسيس ميدان جديد سماه: الأنثروبولوجيا الفلسفية l'anthropologie philosophique وإسهامه الأساسي يكمن أيضًا في تطوير علم اجتماع المعرفة Wissenssoziologie.

الدينية المنقاة والمطهرة التي يقدمها كبار المتصوفة. واستندوا، في ممانعتهم للميتافيزيقا لدواعٍ إبيستيمولوجية أو أنطولوجية، على ما يعتبرونه الشهود الساميين على معنى الوجود والتاريخ، وأفرغوا جهدهم في إدراج حقائق هذه التجارب في فلسفة موسعة تستقي مصدرها ليس من تجربة العالم والغير الطبيعية والمباشرة وإنما من البشر الاستثنائيين أخلاقياً.

تجدد الإشارة أيضًا إلى أنَّ حضور اللاهوت المسيحي قد استمر في إلهام الفلاسفة المعاصرين، كما كان عليه الحال في الماضي من أوغسطين إلى هيجل. لقد فرض التجديد في الدراسات الكتابية والبابوية ضرورة التمييز بين إله الفلسفة الأنطولوجي ذي الأصل اليوناني وإله الإيمان الديني؛ وأدخلت هاتيه الدراسات، أكثر مما فعل ميداني البحث المذكورين أعلاه، نقدًا ملحًا للممائلة المتعجلة جدًا بين المطلق في الأنطولوجيا أو الفينومينولوجيا والله في الدين. وعدة أبحاث أخذت على عاتقها إبانة العلاقات بين هذين النمطين من التفكير. ذهب البعض لجعل تفكير الله جكرًا على اللاهوت وحده مُتذرعين في هذا بـ"موت" الأنطولوجيا-اللاهوتية" (وهذا من تأثير هيدغر وآخرين) كما بالتقارير الكتابية واللاهوت القطعي للآباء اليونانيين، أما

أما بعض الفلاسفة، بتطويرهم لفكر فون هوجل<sup>(١٣)</sup> وجيمس<sup>(١٤)</sup> وبرغسون<sup>(١٥)</sup>، فهم بالأحرى يتجهون إلى التجارب

(١٣) فريدريش فون هوجل Friedrich von Hügel (1852-1925) ولد في لندن، وهو فيلسوف، لاهوتي ومفتسر كاثوليكي. هو سليل النزعة الحدائية، النهضة الواقعية للفلسفة في الدراسة اللاهوتية للشعور الديني، وقد لعب دورًا مهمًا في تاريخ الكاثوليكية في حقبة. كتابه الأكثر شهرة هو "البعد الصوفي للدين"، الذي نشره سنة ١٩٠٨، والذي خصصه للمتصوفة Catherine de Gène. لقد طور فلسفة نقدية، لكنها تضم في كفها البعد الصوفي، ولقد حارب فكرة كون التجربة الصوفية عبارة عن شذوذ نفساني anomalie psychologique.

(١٤) ويليام جيمس William James (1842-1910) عالم نفس وفيلسوف أمريكي، ويعتبر أحد أقطاب المدرسة البراغماتية. قدّم ويليام جيمس وصفًا للتجربة الصوفية في مجموعته الشهيرة من المحاضرات التي نشرت عام ١٩٠٢ تحت عنوان "تنوع التجربة الدينية" وقدّم الكثير من المعايير لوصف التجربة هي على النحو التالي: أ) السلبية - الشعور بالغشيان من لدن قوة خارقة لا تخضع لسيطرتك. ب) عدم القابلية للوصف - لا توجد طريقة مناسبة لاستخدام اللغة البشرية لوصف التجربة. ج) عقلي - الحقائق العالمية التي لا يمكن الحصول عليها في أي مكان آخر. د) عابر - التجربة الصوفية ليست سوى تجربة مؤقتة.

(١٥) هنري برغسون Henri Bergson (1859-1941م) فيلسوف فرنسي، حصل على جائزة نوبل للآداب عام ١٩٢٧. يعتبر هنري برغسون من أهم الفلاسفة الفرنسيين المعاصرين، كان نفوذه واسعًا وعميقًا؛ فقد أذاع لونا من التفكير وأسلوبًا من التعبير تركا بصماتهما على مجمل النتاج الفكري في مرحلة الخمسينيات، وقد حاول أن ينقذ القيم التي أطاحها المذهب المادي، ويؤكد إيمانًا لا يتزعزع بالروح. يرى برغسون أنَّ التجربة الصوفية هي التي تقدم لنا الحل الوحيد لمشكلة الله كحل تجريبي، مع العلم أنَّ هذه التجربة لا يمكن لها أن توصلنا إلى اليقين النهائي والحاسم، وبالرغم من ذلك، فيإمكانها أن تقدم لنا حلًا احتماليًا يمكن إضافته إلى الاحتمالات السالفة، فنكون بذلك قد وصلنا على الأقل إلى ما يقرينا إلى اليقين؛ فكلما انفتحت التجربة الصوفية على التأويل العقلي كشفنا عن مضامين فلسفية عميقة لم يكن بوجدنا معرفتها. فالتجربة الصوفية (القائمة على الحدس الصوفي) هي السبيل الأوحد لتكملة تلك النظرات الميتافيزيقية الناقصة؛ لأن الميتافيزيقا لا يمكن لها أن تكتمل إلا بفضل التجمع المطرد للنتائج المحصلة، بعدما كانت مذهبًا مغلقًا على نفسه.



والتحكم هذه قد ساقته إلى الإمساك بحضور المقدّس في المجالات الواسعة للوجود، وتنحية الدين بوصفه مبدأ فهم فيما يتعلق بأمور العالم، وحتى إلى انتقاد كل خطاب أو كل موقف يحيل إلى ما وراء العالم؛ باعتباره خطاباً وهمياً. لقد منحت العلمنة من حينها لفلسفة الدين مهمات جديدة شغلت بال العديد من المفكرين المعاصرين: إما [أنّ المهمة تمثلت في] تأويل الظواهر الدينية بطريقة سلبية بالاستناد إلى النتائج النقدية لعلوم الإنسان، وإما [أنّ المهمة تمثلت في] إعادة التفكير في الدين من طريق مواجهة نقدية مع هذه الفلسفات النافية. وعلى كل حال، لقد ألقى الإنسان نفسه بفضل العلمنة التي تتماشى جنباً إلى جنب مركزية أنثروبولوجية موضوعاتية في قلب هذه البحوث، وفكرة التعالي أصبحت تمر من خلال الأنثروبولوجيا الفلسفية، مهما كان العلم الإنساني الذي تستند عليه.

لقد برهنت العلوم الاجتماعية -من خلال توضيحها للعلاقات بين المجتمع والدين في الثقافات القديمة وفي العالم المعاصر- على مدى تعلمن العالم à quel point le monde s'est sécularisé. فيما مَضَى كانت الأديان تسمح للثقافة أن تُشَيِّد بإدماج مُعطيات العالم والمجتمع

البعض الآخر فسعى إلى إدراج تفكير الله ضمن فهم فلسفي مسبق لله، مليء بالثغرات لكنه مع ذلك وضعي، أما البعض، فبوثوقه في إمكانات الروح، أبقى على إثبات واقعي لله، ذلك الموجود الضروري والمطلق، وغاية الفكر الفلسفي ومُنْتَهَاهُ.

## فلسفة الدين في مدرسة علوم الإنسان

تعدّ الفلسفة المعاصرة إلى حد بعيد حواراً مع العلوم حديثة النشأة: تلك العلوم التي تذرّس الإنسان من خلال واقع الاجتماعي والتاريخي، النفسي واللغوي. ليس في مقدور فلسفة الدين أن تتملّص من التساؤل الذي أقامته هذه العلوم إزاء طريقة وجود الإنسان وقوله وفهمه؛ لكونها دراسة للإنسان العيني في علاقته مع ما يعتبره مبدأه ومعناه القصويين. وليس من الصدفة أن مجيء هذه العلوم قد تزامن مع ما تعودنا اليوم أن نطلق عليه علمنة العالم بّلة الوجود ذاته. فعلاً يسعى الإنسان الحديث بالإرادة نفسها إلى أن يصير حاكماً -بطريقة تقنية- على الطبيعة والمجتمع وعلى الجسد وروحه، وأن يُفرغ هذه في محاولة استكشاف قوانين عملها بطريقة علمية. إرادة المعرفة

فيورباخ<sup>(١)</sup> وماركس أو تسقى جاهدة لتجاوزها أخذه بعين الاعتبار هذا الفكر الذي دشّن التبرير الفلسفي للإلحاد.

لقد دَفَع علم النفس -ولاسيّما التحليل النفسي- نقد الدين أبعد من ذلك، وهذا بواسطة فحص الحوافز التي أمكنها قيادة الإنسان إلى التدين. فالتأويل الذي تقدمه مدرسة التحليل النفسي للدين ليس في ذاته فلسفيًا بتاتًا. ولكن التحليل النفسي تركّ للفيلسوف الذي يتساءل عن الدين مهمة استئناف مسألتين جوهريتين على نحو لم يُسبق إليه من قبل. أولاً المسألة التي تخص الرغبة، والتي عُدّت مدّ أفلاطون محورًا أساسيًا في الفلسفة. لقد برهن التحليل النفسي -حقيقة- على الوظائف التي

في رؤية شاملة ومؤسّسة ضمن المقدّس، وعليه فقد أعطت نظامًا للزمان والمكان وتمكنت من التغلب على الفوضى المهدّدة. وأرست المؤسسات الثقافية (العائلة، القبيلة، المدينة) بهذا شرعيّتها الضرورية على النظام الإلهي، بينما اليوم أصبحت المبادئ الإنسانية المحضة هي ما يُعطي للمؤسسات شرعيّتها؛ ولم يعد الدين على نحو مباشر عمليًا [مفيدًا وملائمًا] في الميادين السياسية والعلمية، ولا حتى في ميدان الأخلاق الاجتماعية.

هذه الملاحظات المسوّغة علميًا تُرغم الفلسفات على التساؤل عن البواعث المتغيّرة للدين وعن العلاقات بين الأخلاق والدين. كما أننا نشهد فلسفة الدين تأخذ صبغةً جذريةً في تأملها للمسلمات الدينية للأخلاق أو في بحثها عن معنى الوجود الذي نلفي فيه بطريقة أكثر نقدية إدراكًا ممّيزًا للحوافز الوظيفية للموقف الديني المتوجه صوب وجود متعال، والذي يتجذّر في حرية الإنسان غير القابلة للاستلاب.

كما حاول فلاسفة آخرون -على إثر موجه الفكر الماركسي- أن يفهموا الدين بوصفه وهمًا واغترابًا، وهذا بتوسلي تأملٍ جدليّ في الوشائج القديمة التي أقامها الإنسان مع الطبيعة والمجتمع. تستأنف وتنسّق عدّة مؤلفات فلسفية في ميدان الدين انتقادات

(١) لودفيغ فويرباخ (1804-1872) Das Wesen des Christentums "جوهر المسيحية"، والذي قام بنقد المسيحية، وكان مؤنّرًا للغاية في أجيال من المفكرين اللاحقين، بما فيهم كارل ماركس، وفريدريك أنجلز، وريتشارد فاغنر، وفريدريك نيتشه. دعا فويرباخ إلى الليبرالية والإلحاد والمادية. قدّمت العديد من كتاباته الفلسفية تحليلًا نقديًا للدين. كان فكره مؤنّرًا في تطوّر المادّة التاريخية، وبعد حلقة وصل بين هيجل وماركس. نذكر من مؤلفاته:

- في العقل الواحد، الكلّي و اللامتناهي، De ratione una, universali, Erlangen, 1828
- أمكار حول الموت و الخلود Gedanken über Tod und Unsterblichkeit, Nuremberg, J. A. Stein, 1830
- تاريخ الفلسفة الحديثة من يكون الى اسبينوزا Geschichte der neuern Philosophie von Bacon von Verulam bis Benedict Spinoza, Ansbach, C. Brügel, 1833
- مساهمة في نقد الفلسفة الهيجلية Zur kritik der Hegelschen philosophie, 1839
- جوهر الدين Das Wesen der Religion, Leipzig, Otto Wigand, 1845

والسقوط بوصفه أماراً على الذنب، والجنة بوصفها رمزاً للبراءة.

علوم اللغة هي التي أثّرت بعمق كبير في الفلسفة المعاصرة للدين. فقد جدّدت كلية المسألة الإبيستيمولوجية للتقديرات الدينية. ف سابقاً أكدّ توما الإكويني على أنّ الإنسان لا يمكنه أن يعرف الله كما هو في ذاته، ولكنّ الإنسان بفضل الطابع التماثلي للمفاهيم يمتلك القدرة السيمونطيقية للدلالة على الله. عديد من الفلاسفة المنتمين إلى التقليد التوماوي قد قاموا بتعميق النمط التماثلي لمفاهيمنا، خصوصاً مفهوم الوجود. فتأملاتهم في "أسماء الله" (الصفات التي يمكننا بها وصف الله بالعقل) قد نأت دائماً عن المثالية الميتافيزيقية التي اعتقدت أنّها تستطيع التعبير عن جوهر الله ذاته. يُعتبر فكر المماثلة جُهداً يستهدف المتعالّي عبر المفاهيم البشرية، ويميّز بين التجسيم والمفهوم الميتافيزيقيّ الحق.

عدّة مدارس ترى أنّ كلّ لغة [تعبّر] عن الله مُفترقة إلى الدلالة والمغزى، وهذا عائد إلى القوانين اللسانية أو المنطقية التي تُقعد القولَ البشريّ. لقد ساهم نقدُهم للخطاب الدينيّ بقوة في التيار الحديث النشأة للفكر الدينيّ، [ذلك الخطاب] الذي تميّز بالتجسّد في "لاهوت موت الله" *théologie de la mort dieu*. لقد شجبت

يمكن أن يحوزها المطلق والقدرة المطلقة والمعرفة في تدبير الرغبات. ولعدم كون التحليل النفسي -بسبب طابعه العقليّ- من مُستوى ميتافيزيقيّ فإنّه أراد -عبر زعيمه المؤسس- أن يُحلّ ما حول-علم النفس<sup>(١٧)</sup> محلّ الميتافيزيقا وأنّ يقدم تأويلاً رديّاً لكلّ المفاهيم التي تولّد فلسفة المطلق. كما أنّ هناك عدّة فلاسفة ممن لم يُرضهم تجاوز دينك النمطين من الفهم، فسعوا أن يتجاوزوا من الداخل ما حول-علم النفس الذي طمح منذ البداية أن ينفرد بالأمير. فمواجهتهم للتحليل النفسي قد حدّا بهم أن يأخذوا رغبات الإنسان نقطة انطلاق عوض الكوجيطو المكتفي بذاته. وأن يُخضعوا لنقد جذريّ، والبناء أحياناً، مفاهيم القدرة المطلقة [القدير] *toute-puissance* والمطلق التي تعدّ محاور للفكر الدينيّ. في المقام الثاني: يضطرّ التحليل النفسي الفلاسفة إلى أن يعيدوا النظر في الرموز الكبرى والأساطير التي تحمل في كنفها المواقف الدينية من قبيل: اسم الأب، العلاقة بين السيد والعبد،

(١٧) ما حول علم النفس *métapsychologie* هو مجموع الفرضيات والمبادئ والتصورات الأساسية للتحليل النفسي كما وضعها سيغموند فرويد، وبالتالي فإنّه يشير إلى بنية نظرية التحليل النفسي في حد ذاتها وليس إلى الكيان الذي تصفه. موضوع علم النفس هو النفس، وموضوع ما حول علم النفس هو علم النفس. يُستخدم هذا المصطلح غالباً في الخطاب المتعلق بالتحليل النفسي، أي علم النفس الذي وضعه سيغموند فرويد والذي كان يُعتبر حينها فرعاً من الفروع العلمية ولقد تم إعادة إحياء الاهتمام بالمكانة العلمية المحتملة للتحليل النفسي تزامناً مع بروز اختصاص التحليل العصبي النفسي.

يعدّ يُنظرُ إلى اللغة على أنّها تعبيرٌ عن فكر مُشكّل *pensée constituée*. بل تمّ الإقرارُ بأنّ الفكرَ يتشكّل في وِمنْ طريق اللغة ذاتها.

لقد أبانت ألفينومينولوجيا والفلسفة الوجودية -من جهةٍ أخرى- أنّ اللغة هي الحيّزُ غيْبُهُ للعَالقِ بين الذاتِ، وأنّ فيها تتجلى كينونَةُ الأشياءِ. ولُنْصِفَ إلى هذا أنّ التحليلَ النفسيّ يتحرّكُ كُليّةً في اللغة والكلام، كما لو أنّه في وَسْطِهِ الخاص. وعلى اللاهوتِ الكتابيّ أن يتلاقى وهذه الفلسفاتِ لِيَكُونِ اللهُ الحَيّ كلمةً في نظريه.

إذا كانتِ العلمنة والانتقادات التي صاغتها الماركسية ومدرسة التحليل النفسيّ واللسانيات قد أفرغتْ وُسْعَها في تحرير الفكر الدينيّ من أوْهامِهِ، فإنّ كثيرًا من الفلاسفة بقُوا مقتنعين أنّ النزعة الإنسانية من دون وشيجة تربط الفكر والحياة بالله الأسمى لنْ تجدَ ما يؤسّسها، بل سينتهي بها الأمرُ إلى القضاء على نفسها إذا دفعتْ بعدميّتها الإلحادية إلى نتائجها القُصوى. ولنذْكُرَ قَطُّ بالمفكرين أمثال أ. هوكسلي<sup>(١٨)</sup>.

(١٨) ألدوس ليونارد هوكسلي Aldous Leonard Huxley (1894-1963) هو كاتب إنجليزي اشتهر بكتابة الروايات والقصص القصيرة وسيناريوهات الأفلام. قضى حياته منذ ١٩٣٧ في مدينة لوس أنجلوس. له اهتمامات بالباراسيكولوجيا والتصوف الفلسفي، معادٍ للحروب ومهمّ بالقضايا الإنسانية. في آخر أيام حياته اعتبر في بعض الدوائر الأكاديمية، قائدًا للفكر الإنسانيّ الحديث ومثقفًا بارعًا. له تأثير على عدة قاماتٍ فكريّة، أشهرهم جورج أوريل.

مفكرو موتِ الله بوقوفهم في الغالب إلى جانب الدراساتِ السوسولوجية والتحليل النفسيّ ومع استلْهامِهِم من الدراساتِ الكتابية، إما العبادة أو غرورِ الفلسفة الدينية. وهم يُجَلِّونَ تأويلًا أفقيًا للرسالة المسيحية -أي تأويلًا أخلاقيًا لها- محلّ الخطابِ (اللاهوتيّ) عن الله، على الرغم من أنّ مواقفهم تختلفُ كثيرًا فيما يخصّ الاحتفاظَ والاستمرارَ في الإحالة على الإله يسوع-المسيح.

كثيرة هي الدراساتُ التي تَفَحَّصُ خصوصية اللغة الدينية وجنسها اللسانيّ الذي تنفردُ به. يتموضعُ بَعْضُها داخلَ امتدادِ واستمرارِ فكرِ فتجنشتاين الذي حَسِبَ المرجعية "الصوفية" شرطًا للتفكير في العالم، بينما استمستك بَعْضُها الآخرُ بتحليل البنيات اللسانية للغة الدينية بوصفها لغة ذاتية-الاستلزام، إنجازية واعتبارية، كما سَعَى بَعْضُها أيضًا إلى إرساءِ مدَى القيمة الميتافيزيقية للغة الإنسانية، وإلى الاجتهادِ من أجل إقامةِ فلسفة الكمالِ وأسماءِ الله [على سبيلِ المعاضدة والإثبات] على دراسةٍ دقيقةٍ للغة.

على كل حال، تُعتبرُ هذه البحوثُ عن اللغة بمقاصدها وقُدَرتِها السيمونطيقية -في المستقبلِ القريبِ- جوهرَ الجهودِ المبذولة في فلسفة الدين. في الواقع لم

ب. تيليش<sup>(١٩)</sup>،

ر.

نيبور<sup>(٢٠)</sup>،

غ. مارسال<sup>(٢١)</sup>، وك. ياسبرس<sup>(٢٢)</sup>، وأ. توينبي، الذين تركّزت أفكارهم حول الأوضاع والتجارب التي تتيح للإنسان حضوراً كائناً أقصى أو جامعاً، ولو إن لم يكن في استطاعته أن يُسميه الله، فهو مع ذلك من مصافٍ مُطلقٍ ألوهيٍّ.

(٢١) غبريال أونوري مارسال Gabriel Honoré Marcel (1889-1973)، فيلسوف فرنسي شهير، وزعيم الوجودية المسيحية. تمحورت أعمال مارسيل حول نضال الفرد في المجتمع من الناحية الإنسانية. وعلى الرغم من أنه يعتبر في كثير من الأحيان الفيلسوف الوجودي الأول في فرنسا، إلا أنه انفصل عن شخصيات مثل جان بول سارتر، ولذلك يؤثر مصطلح «فلسفة الوجود» أو «السقراطية الجديدة» لتحديد فكره. كان مارسيل يصدد أعداد أطروحة حول مشكلة المعقولة الدينية intelligibilité religieuse، والتي لم يكملها. إلا أن ملاحظاته وتحليلاته حول المسألة قد أثرت بشكل كبير على مؤلفه الأساسي، أي الجريدة الميتافيزيقية le Journal métaphysique. تتميز أعمال غبريال مارسيل بطابع ديني واضح، وهي تقضي -باعتباره- إلى وجهة دينية على الرغم من أنه لم يتلق أي تربية دينية رسمية، دع عنك أنه لم يشعر بأي ميل ديني قوي. ولقد بقي حذراً حيال كل المساعي التي تحاول أن تثبت وجود الله بتوسل براهين معينة، إذ يراها تستبعد الخبرات العميقة التي يكون موضوع خبرتها الله و لهذا تعتبر السجلات العقلانية حول الله قاصرة بينما نفتحن خبرة الله على أفاق ومعاني أعمق للتجربة الدينية، ويرى مارسيل أن الخبرات التي يصفها في أعماله من قبيل الأمل والمسؤولية والإخلاص وغير ذلك من التجارب البيّناتية تزد عن التحليلات العقلانية، يقول كلود باكس Clyde A. K. Clark أحد كبار المتخصصين في فكر غبريال مارسيل إن الفرد لا يفك عن النداء والابتهاال إلى قوة قصوى تسمح له أن يقوم بنذر يدرك أنه لا يستطيع أن يفي به وحده، و التزامه حيال أنفٍ مطلق "Tu absolu" يجعل من التزامه هذا ومعقوليته اللامشروطة أمراً ممكناً داخل هذه العلاقة الأنموذجية. يعلمنا تصوره عن العلاقة بين الإنسان والأنت المطلق أن نستجيب لنداء التعالي فيما وراء هيمنة العلم والتكنولوجيا في الثقافة المعاصرة.

هذه قائمة ببعض أعماله المهمة:

- لغز الكينونة 2، 1951، Paris, Aubier, Le Mystère de l'être.
- المسرح والدين. Lyon, Éditions E. Vitte, 1958.
- الحضور والخلود الأبدى، Paris, Flammarion, 1959.
- الكينونة والملك Être et avoir (1918-1933), Paris, Aubier, 1935.
- الكرامة البشرية ودعائهما الوجودية. La Dignité humaine et ses assises existentielles, Paris, Aubier, 1964.

(٢٢) كارل ياسبرس Karl Jaspers (1883-1969) طبيب نفسيّ وpsychiatre وفيلسوف ألماني-سويسري وأحد ممثلي الفلسفة الوجودية، أعماله لها تأثير كبير على اللاهوت، و الطب النفسيّ psychiatrie و الفلسفة.

(١٩) بول يوهانس تيليش Paul Johannes Tillich هو فيلسوفٌ وجوديٌ مسيحيٌ ولاهوتي ألماني أمريكي ولد في يوم ٢٠ أغسطس ١٨٨٦ في قرية ستارسيدل Starzeddel (بولندا حالياً) في مقاطعة براندنبورغ Brandenburg في الإمبراطورية الألمانية، هو أحد أشهر اللاهوتيين في القرن العشرين. ارتكزت فلسفته على إعادة فهم المسيحية على الأساس الوجودي وإعادة كتابة تاريخ اللاهوت العقائدي والفكر الديني. يعتبر كتابه Systematic Theology (1951 - 1963) ذو المجلدات الثلاثة أشهر أعماله وقد طور فيه «طريقة الارتباط»، وهو نهج لاستكشاف رموز الوحي المسيحي باعتباره إجاباتٍ عن قضايا الوجود الإنساني التي أثارها تحاليل الفلسفة الوجودية المعاصرة. أثر تيليش على العديد من المفكرين: منهم بول ريكور Paul Ricoeur ورونيه جيرار René Girard. كما أثر أيضاً على فكر أرنست بلوخ.

(٢٠) كارل بول رينهولد نيبوهر Karl Paul Reinhold Niebuhr (1892-1971) هو مصلحٌ لاهوتي أمريكيٌ وخبيرٌ في علم الأخلاق ومفكرٌ في مسائل السياسة والشؤون العامة وبروفيسور في معهد يونيون اللاهوتي للثلاثين عاماً. كان نيبوهر أحد المثقفين القادة في أمريكا لعدة عقود من القرن العشرين ونال وسام الحرية الرئاسي عام ١٩٦٤. بصفته لاهوتياً بارزاً، كتب وتحدث غالباً عن التداخل بين الدين والسياسة والشأن العام، وعنوان كتابيه الأكثر تأثيراً هما «الرجل الأخلاقي والمجتمع غير الأخلاقي» و«طبيعة وقدرة الإنسان». يُعتبر الكتاب الأخير في المرتبة الثامنة عشر بين أكثر مئة كتاب غير أدبي في القرن العشرين من قبل المكتبة الحديثة. ويصف أيضاً أندرو باسيفيتش كتاب نيبوهر «سخرية التاريخ الأمريكي» بأنه أفضل كتاب كُتب عن السياسة الخارجية الأمريكية. كما يصف المؤرخ آرثر شيلزinger الابن نيبوهر بأنه أكثر عالم لاهوتي تأثيراً في القرن العشرين، واعتبرته مجلة التايم بعد موته أعظم لاهوتي بروتستانتي في أمريكا منذ جونان إدواردس.

انتهى تفكيره خلال ثلاثينيات القرن العشرين إلى علم اللاهوت الواقعي النيوارثودوكسي أثناء تطويره المنظور الفلسفي المعروف باسم الواقعية المسيحية. هاجم الطوباوية باعتبارها غير فعالة للتعامل مع الواقع. تعمقت واقعية نيبوهر بعد عام ١٩٤٥ وقادته لدعم الجهود الأمريكية لمواجهة الشيوعية السوفيتية في جميع أنحاء العالم. بصفته متحدثاً قوياً، كان أحد أكثر المفكرين تأثيراً في أربعينيات وخمسينيات القرن الماضي في الشؤون العامة. اشترك نيبور مع الليبراليين الدينين واعتبر وجهات نظرهم حول تناقضات الطبيعة الإنسانية وحول تفاؤل الإنجيل الاشتراكي ساذجة، واشتبك مع المحافظين الدينين واعتبر نظرتهم للكتاب المقدس وتعريفهم الضيق للدين الحقيقي رؤيةً تفقر إلى العمق والذكاء.

تكمّن مساهمات نيبور في الفلسفة السياسية في استخدام مصادر اللاهوت للدفاع عن الواقعية السياسية. أثر عمله بشكل كبير على نظرية العلاقات الدولية، ما دفع العديد من العلماء إلى الابتعاد عن المثالية واعتناق الواقعية. أشار عدد كبير من العلماء، بمن فيهم العلماء السياسيون والمؤرخون السياسيون وعلماء اللاهوت، إلى تأثيره على تفكيرهم. بالإضافة للأكاديميين، أشاد نشطاء مثل مايلز هورتون ومارتن لوتر كينغ جونيور، والعديد من السياسيين من بينهم هيلاري كلينتون وهوبرت هفري ودين أنشوسن وجيمس كوهي ومادلين أولبرايت وجون ماكين، إضافة إلى الرؤساء الأمريكيين السابقين باراك أوباما وجيمي كارتر، بتأثيره على تفكيرهم. شهدت السنوات الأخيرة اهتماماً متجدداً بعمل نيبوهر، ويعزى ذلك جزئياً إلى إعجاب أوباما المعلن بنبوهر. في عام ٢٠١٧، أصدرت بي بي إس فيلمًا وثائقيًا عن نيبوهر بعنوان «الضمير الأمريكي: قصة رينهولد نيبوهر».

من أعماله:

تاويلٌ للأخلاق المسيحية

طبيعة الإنسان وقدره: تاويل مسيحي، ١٩٤٤

الواقعية المسيحية والمشكلات السياسية، ١٩٥٣



يُعارضُ هذا الصنفُ من الفلسفةِ صنفٌ آخرٌ مُقتنعٌ أنَّ كلَّ اعتقادٍ دينيٍّ يجعلُ الإنسانَ مُغترباً عن بناءِ إنسانيَّتهِ الأرضيةِ، أو على الأقلٍ إنَّه يأسرُهُ في وَهمِ الفكرِ والرغبةِ. [في نظرِ هذا الصنفِ] قَفْظُ التقريزِ الراديكاليِّ لتناهيهِ سيَحْدُوا به للانخراطِ بجديَّةٍ في المغامرةِ الإنسانيةِ. وعليه فموتُ اللهِ يُصيحُ شرطاً للنزعةِ الإنسانيةِ الحقَّةِ، سواءً تأسست على الحريةِ أو على العلاقةِ الجدليةِ بين الإنسانِ والطبيعةِ، أو على العقلِ المالكِ لزامٍ أمرِهِ. أمَّا بالنسبةِ للمفكرين المذكورين أعلاه فالأمرُ على العكسِ تماماً فموتُ اللهِ سينجُرُّ عنه موتُ الإنسانِ.

تساهمُ كلُّ التياراتِ الفلسفيةِ وكلُّ العلومِ في تسويغِ هذا الموقفِ الإنسانيِّ أو ذاكِ. وقلَّما نجدُ مُفكرينَ لم يربطوا مفاهيمهم الإنسانيةِ بقناعاتِ الدينِ أو بالموقفِ الذي يُصرخُ بالإلحادِ. فإذا كانتِ الفلسفةُ المعاصرةُ تقدِّمُ الاقتضاءاتِ الأخلاقيةَ نفسها، والمدوَّنةَ في الإعلانِ العالميِّ لحقوقِ الإنسانِ، فإنَّ تصوراتها القُصوى عن النزعةِ الإنسانيةِ تتشظى إلى نزعاتٍ تتصارعُ فيما بينها، لكونِ قناعاتهم المتعلقةِ بالتحريضِ النهائيِّ للإنسانِ لا تتوافقُ فيما بينها حتى إنها أحياناً تتعارضُ في إرادةِ تأسيسِ إنسانيةِ الإنسانِ.